بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد سامر القباني

أثر الإسلام في تغيير نفس سيدنا عمر

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حمداً لك ربي على نعمائك، وشكراً لك على آلائك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، إلهٌ تفرَّد بالربوبية، لا ضدَّ ولا ندَّ، ولا ولد ولا والد، ولا زوجة له، إلهٌ حكم فعدل، وأعطى فأجزل، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، صفيه من بين خلقه وحبيبه، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وبعد عباد الله، فإني أوصيكم ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته، وأحذركم ونفسي مِن عصيانه ومخالفة أمره، وأستفتح بالذي هو خير.

اعلموا أن خير الكلام كلام الله، وأن خَير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وأن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] .

إلهي إن يكن ذنبي عظيماً ... فعفوك يا إله الكون أعظم

فممن أرتجي مولاي عفواً ... وفضلك واسع للكل مغنم

تركت الناس كلهم ورائي ... وجئت إليك كي أحظى وأنعم

فعاملني بلطفك واعف عني ... فإن تغضب فمن يغفر ويرحم؟

اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة يا الله، وعمنا جميعاً بفضلك الكبير، اللهم إني أعوذ بك من التكلف لما لا أعلم، كما أعوذ بك من العُجب بما أعلم، وأعوذ بك اللهم من السَّلاطة والهذر، كما أعوذ بك من العِيِّ والحَصَر، أعذني رب من حَصَر وعيٍّ، ومن نفس أعالجها علاجاً.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: يراجعنا كثير من الشباب، ويراجعنا كثير من الإخوة، ويسأل سؤالاً مهماً بالنسبة له، وهذا السؤال هو أننا كثيراً ما نَسمع كلام الله، وكلام رسول الله ﷺ، ونرى من خلال الخطب أو الدروس شمائل الحبيب المصطفى ﷺ، ونرى سلوكه ونسمع عن أخلاقه، ولكن عندما يأتي أحدنا إلى التغيير ليغير نفسه وفق كلام الله وكلام رسوله ﷺ، يَجد في ذلك صعوبة بالغة لتغيير نفسه، لترك مساوئ الأخلاق أو لترك المعاصي التي يفعلها أو الآثام أو المخالفات الشرعية، يَجد صعوبة كبيرة في التخلي عنها، ويُقاوم نفسه كثيراً، لكنه يعود مرة ثانية إلى المعصية وإلى المخالفات الشرعية، فيَسأل ما السبيل إلى التغيير؟ كيف يُمكن أن أتغير؟.

أولاً أقول لكم أيها الإخوة الكرام: إن الإنسان في هذه الحياة له أعداء، وأنا لا أتكلم الآن عن الأعداء في الحياة، في العمل، في الأسرة، في محيطك، في بيئتك، لا أنا أتكلم عن الأعداء الحقيقين، منذ أن وجد سيدنا آدم عليه السلام، وأول هؤلاء الأعداء إبليس، وأنتم تعلمون أنه توعد وأوعد بأنه يُضل عباد الله عز وجل بكل الأساليب، والله عز وجل حذّرنا فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] هناك مَن يتخذه صديقاً، هذه الفكرة الأولى، أنا أتخذ الشيطان صديقاً؟ طبعاً، عندما تقف في مفترق طرق، فإما تذهب في طريق الله، أو في طريق الشيطان، فتختار طريق الشيطان، أنت اتخذته صديقاً لك، والله أمرك أن تتخذه عدواً، الشيطان ماذا يفعل؟ يوسوس، كما فعل مع أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] [قال لهم: الله لا يُريدكما أن تكونا ملكين، ولا يريد أن يكون لكما الخلود، كُلَا] وأقسم بالله وعزة الله، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] أقسم بالله إبليس، فيوسوس الشيطان، هنا يأتي شيء آخر اسمه النفس الأمارة بالسوء، النفس الأمارة بالسوء دائماً تميل إلى الدَّعة وإلى الكسل، وإلى الشيء الغريب، وإلى المخالفات الشرعية، ما تحب الطاعة النفس، في الإنسان شيئان: الروح والنفس، الروح من العالم العلوي، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وغذاء الروح معروف، وهناك النفس الأمارة بالسوء التي قال عنها القرآن: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] إذاً عندك عَدُوَّان: النفس الأمارة بالسوء والشيطان، ورحم الله البوصيري حينما قال:

وخالف النفس والشيطان واعصهما، كل شيء يَقوله لك إبليس اعمل بعكسه، كل شيء تَقوله لك نفسك الأمارة بالسوء فاشتغل بخلافه،

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولو قالا لك نحن ننصحك، فاتهم، لأن الشيطان لا يأمر بالخير، والنفس دائماً أمارة بالسوء، فإذا اتبع الإنسان -هنا مَحط الشاهد- الشيطانَ كثيراً، وابتع النفس الأمارة بالسوء كثيراً، ونسي ربه؛ فينساه الله، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] ما الذي يَحصل بعد ذلك؟ الذي يحصل أنه تنقلب هذه النفس الأمارة بالسوء، وتنقلب وساوس الشيطان التي أصبحت عادة لك، تنقلب إلى شيء اسمه هوىً مُتبع، الذي تَعوذ منه رسول الله ﷺ، فيقول الله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْت﴾ وهنا أريد أن تقفوا معي بكل ما لديكم من فكر عند هذا اللفظ، عندما يُسيطر على الإنسان الشيطان بوساوسه ونفسه الأمارة بالسوء فيطيعهما كثيراً ويعصي الله كثيراً، ينقلب إلى هوى متبَّع يُصبح هذا الإنسان بحد ذاته شيطان، ليس شيطاناً من الجن، يُصبح هذا الإنسان بحد ذاته شيطاناً، هو لا يحتاج لا إلى نفس أمارة بالسوء ولا إلى شيطان، ما يَحتاج لهما لأن هو صار مصدِّر للمخالفات الشرعية بكثرة ارتكابه لها، فيصبح الموجه له من؟ هواه المتَّبع، الهوى هو الذي يوجهه، كل ما تقوله له نفسه يركض وراءه، لا يُصبح هناك ضوابط الشرعية أبداً، لذلك عبر القرآن عن هذه الفكرة بأن هذا الهوى صار إلهاً، ربنا عز وجل هو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد يُعبر عن شيء آخر بأنه إله؟ معنى ذلك كم هذا الشيء كبير، حتى ربنا عز وجل عبر عنه بالإله؟! ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] جاهل؟ لا ليس جاهل، يعرف أن هذا مخالفة شرعية وأن هذا حرام، ليس جاهل، يَعلم لكن تَمكن الشيطان منه، وتمكنت منه النفس الأمارة بالسوء، عندما تمكنا أصبح هوىً متبعاً، فأصبح هذا الهوى يُواجه الإنسان إلى حيث يُريد، وينساه الله لأنه نسي الله، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] عندما يتخلى الله عنك ليس هناك شيء في الحياة يَستطيع جذبك، وعندما يَكون الله معك لا يَستطيع شيء في الحياة أن ينهيك، فالخلاصة أنت مع من؟ مع الله، أم مع الشيطان والنفس الأمارة بالسوء؟ إذاً المسألة في التغيير تَنبع أولاً من هذا، من الفكر، من أن تجلس وتفكر، ما هي هويتك؟ أنت مسلم، أنت مؤمن، ما الذي يُوجهك، كلام الله وكلام رسول الله ﷺ؟ مَن عدوك؟ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء،

لماذا تشتكي وأنت تَتبع الشيطان والنفس الأمارة بالسوء؟ الضعف البشري، هذا هو الجواب، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] الضعف البشري، كيف تُغير؟

أولاً: تنطلق مرة ثانية من الفكر، ترجع فتقيم نفسك من أنت؟ أنا عبدٌ لله، لست عبداً للشيطان، ولست عبداً للنفس الأمارة بالسوء، لست عبداً للمال، لست عبداً للجاه، لست عبداً للمنصب، أنا عبدٌ لله، أفعل ما يمليه علي الله، وبذلك تبدأ فكرة التغيير، الفِكر تبدأ من الفكر ثم تنتقل في المرحلة العملية إلى الممارسة في الحياة اليومية.

العرب قبل الإسلام كان عندهم مكارم الأخلاق، صح، لكن كانوا يَرتكبون أبشع أنواع الجرائم، كانوا يئدون البنات، بنت عمرها ساعتين تَبكي وتُريد الرَّضاعة، أتت إلى الدنيا بصفاء ونقاء، يدفنونها وهي حيّة خشية العار، يَقتلون أولادهم خشية الفقر، يَضع ابنه وَيَذبحه وَيَحفر له ويدفنه خشية الفقر، [هذا كلام مو قصص حديدان] هذا كلام القرآن: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩] هذا كلام الله، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] هذا كلام الله يُخبرنا عن الكلام الموجود عند العرب، ليست قصصاً بالية، كان عندهم جرائم ضد الإنسانية، يَغزو بعضهم بعضاً من أجل الماء والكلأ، هؤلاء مع مكارم الأخلاق كان عندهم كثير من مساوئ الأخلاق، جاء الإسلام فغيرهم وبدلهم، وجعلهم قادة للأمم، وأول شيء أنهم أحبوا سيد الخلق مُحَمَّداً ﷺ، أحبوه بأخلاقه وحسن معاملته، آمنوا بالله إيماناً حقيقياً وليس إيماناً مزيفاً، إيماناً حقيقياً بالاتباع والاقتداء، فتغير وجه البسيطة، أصبح هؤلاء القوم الأميين قادة الأمم، قَلَّ مَن يكتب ويقرأ من الصحابة، القليل جداً مَن كان يكتب ويقرأ، القليل منهم، كان متعلماً عنده العلم، ومعظمهم يتطبع بطباع عشيرته وقبيلته، منهم أهل حضر أهل المدينة ومكة، ومنهم أهل بدر أهل البادية، قسوة القلب، القتال، حرب ضحيتها عشرات الألاف، من أجل ناقة ومن أجل جمل ومن أجل امرأة، حرب داحس والغبراء، وهكذا يقتلون البنات ويشربون الخمور ويقتلون أولادهم خشية الفقر، حولهم الإسلام إلى قادة للأمم.

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أولاً كان عظيم الجثة قوياً، عريض المنكبين، طويل القامة، كان إذا ركب على الفرس مشت قدماه مع الفرس، وكان شديداً على نفسه، إذا أمرته بشيء يخالفها دائماً، كان قوياً، وكان قبله قاسياً جداً، ومع ذلك نَرى رسول الله ﷺ في مكة يَدعو -عندما كان ضَعيفاً- فيقول: ((اللهم أعزَّ الإسلام بأحد العمرين)) إما عمرو بن هشام أبي جهل، أو عمر بن الخطاب أبي حفص، ((اللهم أعز

الإسلام بأحد العمرين)) وكان سيدنا عمر مشركاً، مثله مثل أهل مكة، يعبد الأصنام، يصنع صنماً من حجر ويسجد له، يصنع صنماً مِن تمر ويسجد له، إذا جاع أكله، يعني شيء مثل المجانين، هكذا كان العرب، بالإضافة إلى مكارم الأخلاق التي كانت موجودة عندهم، يَستمع أن أخته فاطمة بن خطاب أسلمت ذهب ليقتلها مِن شدة وقسوة قلبه، وشدة ما كان عليه من مقاومته لنفسه، ذهب ليقتلها، فدخل عليها وقال: بلغني أنك صبأت، فقالت له: نعم، فتاة تُقارع عمر بن الخطاب! مَشهور في مكة المكرمة بهذه القوة! قالت له: نعم أسلمت، فلمح صحيفة على الفراش جاء ليأخذها -جاء ليقتل أخته- جاء ليأخذ الصحيفة فسبقته إليها، فأخذت الورقة، وقالت: والله لا تأخذها، قال: أرني ما فيها، قالت: فيها كلام الله، وأنت امرؤ لا تَتطهر من الجنابة، قال: فذهب فاغتسل ثم جاء، فأعطته الورقة، وكان سيدنا عمر ﷺ قارئاً يَقرأ، لم يكن أمياً، فقرأ: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ١-٤] إلى آخر هذه الآيات، فدفعها على الأرض مغضباً، ثم خرج إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، وبلغه أن رسول الله ﷺ هناك، فطرق الباب، وقالوا: مَن بالباب؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقالوا: يا رسول الله، لا تخرج إليه ولا نفتح له الباب، قال: افتحوا له الباب، قالوا: يا رسول الله هذا عمر، [أنت تعرف كم عذبنا، كم أهاننا، وكم وقف ضدنا، وما زال] قال: افتحوا له الباب، ففتحوا له الباب، وأمسكه واحدٌ عن يمينه وواحدٌ عن شماله خوفاً على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ((ألم يأن لك يا ابن الخطاب أن تسلم)) فقال: والله ما جاء بي إلا هذا، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فأسلم سيدنا عمر بن الخطاب، وتعلمون القصة في مكة، لما خرجوا من في صف واحد، وتم الجهر بالدعوة، حمزة بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ عن يمين القوم، وعمر بن الخطاب عن شمالهم، وتَمضي الأيام، وما زال سيدنا عمر قوياً قاسياً، يَهابه كل الصحابة، ويَخاف مِنه كل الناس، حتى الطباع غيرها، ليس فقط من الكفر إلى الإيمان، غَيَّر الطباع فيهم، ونحن نعرف أن الطَّبعَ غَلَبَ التَّطَبُّع، قال: هذا كله بعيداً الإسلام وأخلاق الإسلام، في الإسلام لا يوجد شيء يغلب الإسلام عند المسلم الحقيقي والمؤمن الحقيقي، أبداً، ويبقى شديداً، في أُسارى بدر آراؤه أن تُقتل الأسرى، قال: إني أرى أن تُمكِّن حمزة بن العباس فيقطع عنقه، وأن تُمكِّن علياً من عقيل فيقطع عنقه، فلا يزال العرب يَسمعون بنا فيهابوننا، هذا رأي سيدنا عمر بأُسارى بدر، ورأي سيدنا أبي بكر الفداء، أن يَأخذوا مِنه المال، وأن يَفتدوا أنفسهم، أخذ رسول الله ﷺ بقول أبي بكر ﷺ، ونزل القرآن برأي عمر ﷺ، ﴿مَا

كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧].

مرة ثانية الرسول ﷺ إن كان ليصيبنا بخلافك عذاب يا ابن الخطاب، شديد سيدنا عمر رضي الله عنه، الخمر حُرمت على مراحل: أولاً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] بَقي العرب يتاجرون بالخمر ويشربون الخمر، وبقي المسلمون يشربون الخمر ويتعاطونها لأنه لم تُحرم بعد، حتى قام واحد فقرأ وهو سكران من الصحابة: (قل يا أيها الكافرون، أعبد ما تعبدون، وأنتم تعبدون ما أعبد، وأنا عابدٌ ما عبدتّم، وأنتم عابدون ما أعبد –سهلها كثيراً– لكم دينكم ولي دين) [أصبحت الشغلة وحدة] فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] فأصبحوا يُصلوا العشاء ويَشربون الخمر، حتى اجتمع الأنصار والمهاجرون، فذبحوا بعيراً وأحضروا شواءً وجهزوا الخمور، فشربوا الخمور في الليل فسكروا، فقام واحد من الأنصار فقال للمهاجرين: أنتم جئتم إلينا بلا مال وبلا مأوى، فآويناكم وأعطيناكم المال، فقام هذا المهاجري فقال له: ما قيمتكم أنتم الأنصار لولا أن رسول الله ﷺ مِنَّا، فاقتتل القوم، فأخذ واحد عظم بَعير فضرب الآخر على رأسه، فشجّه شجة مُنكرة، فسال الدم منه، فذهب إلى رسول الله ﷺ يَشتكيه، فرفع سيدنا عمر رضي الله عنه يديه إلى السماء وقال: (اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فإنها تُتلف المال وتُذهب العقل) فنزل القرآن بقول عمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

في صلح الحديبية، كل الصحابة سكتوا إلا سيدنا عمر رضي الله عنه، يا رسول الله، ألسنا على الحق؟ بلى، أليسوا على الباطل؟ بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال له سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وقد وكزه بيده: اِلزم غرسه، إنها النبوة، لا تَنس أن هذا نبي، يَأخذ الأوامر من عند الله، يعني هذا أمر الله.

عِندما مَات سيد الخلق مُحَمَّد ﷺ، استل سيفه، وقال: من قال إن مُحَمَّداً قد مات قطعت عنقه، غَير مُصدق، شديد جداً، قَطعت عنقه، فقال له سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] قال: فسقط السيف من يده، قال: والله لكأنها أُنزلت الساعة.

وما أدراك ما سيدنا عمر؟ أصبحت خليفة وأميراً للمؤمنين، انظر كيف بدَّله الإسلام، وغيَّره القرآن، انظر، صار خليفةً للمسلمين، جاءه أعرابي فقال له: يا عمر الخير جُوزيت الجنة، اُكسُ بُنياتي وأُمهنَّ – أعطنا كسوة وثياب– اُكسُ بُنياتي وأُمهن، أقسم بالله لَتفعلنّ، قال له سيدنا عمر ﷺ، فإذا لم أفعل يكون ماذا؟ ماذا يَحصل إن لم أعطك، قال: إذاً أبا حفصٍ لأذهبنَّ، قال: فإذا ذَهبتَ يَكون ماذا؟ ما الذي يَحصل إذا ذهبت؟ قال: تَكون عن حالي لتُسألَنَّ، يَوم تكون الأعطيات جُنَّة، والواقف المسؤول بَينهنّ، إما إلى نار وإما جنة، فبكى سيدنا عمر ﷺ حتى خضب الدمع لحيته، يبكي مثل الأطفال، انظر كيف غيَّره الإسلام، وقال: أعطوه لهول ذلك اليوم، لا لشعره.

سيدتنا خولة بنت حكيم، أنتم تعرفون أنه نَزل فيها قرآن إلى يوم القيامة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] كانت كَبيرة بالسن، أكبر من سيدنا عمر بعشرين سنة تقريباً، كَبيرة في السن، فالذي حصل أنها كانت في السوق، وكانت قد عميت وفقدت بصرها، فقيل لها: هذا أمير المؤمنين ومعه مُرافقه الجارود العبدي، لكن مرافق مع سيدنا عمر ليحمل أكياس الطحين ليس للحماية، والدليل لما قَتله أبو لؤلؤة المجوسي كان وَحده سيدنا عمر ﷺ، لم يَكن يتخذ حرساً، لا هو ولا سيدنا عثمان ولا سيدنا علي ولا سيدنا أبو بكر، المرافق الجارود العبدي مِن أجل أن يَحمل معه أكياس الطحين إلى بُيوت الأرامل والمساكين والأيتام، وأنا لا أقول أنه يَحرم اتخاذ الحُرَّاس، لكن أتكلم عن واقعة حال، هُم لم يَكن لديهم حُراس، فهو مُرافق من أجل أن يُعينه في أمور الفقراء والمساكين، الشاهد في الأمر أنه قيل لها: هذا عمر في السوق، قالت: خذوني إليه، خولة بنت حكيم هذه التي نزل فيها القرآن، فذهبت إليه فقالت له: هِيه يا عمر، فَوقف سيدنا عمر، قالت: لَقد عَهدتك عُميراً في أسواق مكة، تُصارع الصبيان، وتأخذ المال مِنهم، [قالت له: لما كان عُمرك خمس سنين في مكة تَأتي لواحد فتقول له: تُقاتل، إذا غَلبتني تأخذ درهم، وإذا غلبتك تُعطيني درهم، فيقول له: نعم، فَيُصارعه فيغلبه سيدنا عمر، فَيَأخذ منه المال] قالت له: عَهدتك عُميراً في أسواق مكة، تصارع الصبيان وتأخذ منهم المال، ثم مَضت الأيام يا عمر، فصرت الشديد على دين الله، كنت تؤذي الصحابة، رأيك من رأي قريش عبدة الأصنام، فصرت الشديد على دين الله، ومضت الأيام فصرت الشديد في دين الله، ليس على دين الله، وها أنت اليوم أمير المؤمنين يا عمر، فاتق الله في الرعية؟ فبكى سيدنا عمر ﷺ بكاءً طويلاً كالنساء، اتق الله في الرعية يا عمر، فقال لها الجارود العبدي: مَه يا هذه،

هذا عمر بن الخطاب المشهور بعدله، المشهور باستقامته، المشهور بصحبته للنبي ﷺ، فغضب سيدنا عمر ﷺ، فقال: بل أنت مه يا جارود، ألا تعلم من هذه؟ قال: ومَن هذه؟ قال: هذه خولة التي سمع الله ندائها من فوق سبع سماوات، ألا يَسمع لها عمر؟ ويَبكي مثل النساء.

العباس بن عبد المطلب ﷺ، عم الحبيب المصطفى ﷺ، ذبحت زوجته على السطح فرخاً، دجاجة ذبحتها، فنزل الدم في الميزاب، وكان سيدنا عمر ﷺ ذاهباً إلى الصلاة، وقد لبس ثياباً بيضاً نَظيفة، فلما مرَّ سقط الدم فوق ثيابه، قام فوضع حجراً فخلع الميزاب من مكانه، الناس يَنتظروه لخطبة الجمعة، خلع الميزاب ثم ذَهب إلى بيته، فغير ثيابه، ثم رجع فصلى بالناس، رجع سيدنا العباس بن عبد المطلب ﷺ إلى المنزل، قالت له زوجته: ذبحت دجاجة اليوم ولا أعلم أن عمراً يَمر، فنزل الدم كله على عمر، قال لها: وماذا فعل؟ قالت له: وضع حجراً وخلع الميزاب من مكانه، فغضب سيدنا العباس، فذهب إلى سيدنا عمر، قال: يا عمر، أأنت خلعت الميزاب من سطح بيتي، قال: نعم، لأنه يُؤذي المسلمين في هذا الطريق، قال: أوتعلم مَن وضع الميزاب في هذا المكان بيديه وَعَمَرَهُ بكلتا يديه؟ قال: مَن؟ قال: إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أقسم بالله أن النبي ﷺ وَضعه وبناه بيديه، فبكى سيدنا عمر ﷺ، [أنا أَخلع مِيزاباً وَضع سيدنا الرسول ﷺ في هذا المكان] قال: أقسم بالله يا عباس، لَتَرتَقِيَنَّ ظَهري وَلَتَضَعَنَّ الميزاب في المكان الذي وضعه رسول الله ﷺ، قال: أرجوك اِعفني يا أمير المؤمنين، قال: أقمست عليك بالله لَتَطَأَنَّ ظَهري وَلَتَضَعَنَّ الميزاب في المكان الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ، قال: أطرق سيدنا عمر ﷺ، وَرَقِيَ ظَهره سيدنا العباس ﷺ، فَوَضَعَ الميزاب في مكانه.

ويبكي في منى قبل مَوته، كان يَلتحف الرمل، ويقول: آه، لقد طال الأمد يا رب، فقد رحل رسولك، ورحل أبو بكر، فمتى ألحق بهما، أيا تُرى أكون معهما؟ تُحدثك الصحابة أنه كان يَبكي، وكان يُصبح أمامه مِن البكاء كمِثل البِركة، بركة ماء صغيرة من البكاء، [هل أحدنا يَبكي كمثل بركة ماء صغيرة؟ يَعني كَم بكى حَتى صارت دموعه كالبِركة؟ هل تَصَنَّعَ حَتَّى يراه الصحابة يَبكي].

هَكذا غيرهم الإسلام، إذا أردت أن تتغير فأحب الله وأحب رسوله، واعرف من عدوك، وللتغيير أساليب كثيرة، ولكن اعلم أنه ما يَضل إنسان ويَصعب عليه العودة إلى الجادة، فأنت مؤمن، وإيمانك قوي بالله عز وجل، أيها الشاب المؤمن، أيها الرجل المؤمن، إذا عَزمت على شيء فالله معك، الله يُعينك، لَكن

المشكلة أن البَعض لا يُوجد عِنده عَزم على التغيير، نحتاج إلى تَوبة نصوح، العَزم أن لا تَعود إلى المعصية مرة أخرى.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يَجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولي الألباب، استغفروا الله يَغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

بتصرف